

الفكر الإسلامي وتكنولوجيا المعلومات

أ.م.د. نبيل محمود شاكر السعدي

كلية التربية الاساسية / جامعة ديالى

المقدمة :

لقد ساهمت تكنولوجيا المعلومات في تغيير سمة الحياة بشكل سريع إذ أصبح استخدام التكنولوجيا في الحصول على المعلومة ونقلها من الركائز التي تمكننا من مواكبة التطور العلمي وتوفير الفرصة للمجتمعات والانظمة لاتخاذ القرارات المناسبة في الوقت المناسب وذلك باستخدام الآلات التكنولوجية الحديثة ومنها الكمبيوتر .
ان المعطيات الناتجة عن معالجة البيانات وفق سياقات محددة ومستوى عال من الموثوقية تسمى بالمعلومات وهي بذلك تكون الإطار الذي يحوي تكنولوجيا المعلومات – وعلوم الكمبيوتر – ونظم المعلومات وشبكات الاتصال وتطبيقاتها في مختلف مجالات العمل الإنساني .

ان الأحداث التاريخية كانت قد أوضحت عمق التجربة النهضوية التي قادها الإسلام على مر العصور واليوم نعيش في عصر العولمة والانفتاح على العالم والتطور السريع في الثورة المعلوماتية والمعرفية تتعمق الهوية والفاصل الاجتماعي بين فئات متطلعة نحو تقليد ومحاكاة الثقافة الغربية بكل شغف وفئة اخرى تتطلع الى استيعاب مفهوم التكنولوجيا وتحديد طرق الاستفادة من هذا الجديد المتطور وتحديد الروابط المعرفية والكشف عنها من خلال منظار علمي إسلامي واضح بما يحقق التنمية في المجتمع الإسلامي فكل جديد ومتطور سلبياته وإيجابياته على الفرد والمجتمع ولا يمكننا اخذ كل ما تتقذفه الحضارة الغربية علينا وعلى الرغم من ذلك فان المسلمين في العالم العربي تهافتوا على اقتناء ثقافة الغرب بشكل مسرف ومبالغ فيه فهل يمكن هذا التطلع نحو استيراد الثقافة دون استيعاب مكوناتها أم إن الأمر يتعلق بالاستهلاك والتلقي وتجاهل العلاقة بين الفكر الإسلامي والثقافة الغربية ؟
والسؤال الأهم الذي يطرحه إسماعيل نوري الربيعي بمقاله (العرب وتحدي المعلوماتية)^(١) حول التطور المطرد الذي ترفل فيه البلدان المتقدمة إزاء الهوية والفجوة التي تعاني منها الاقطار العربية على الرغم من الاستيراد الواسع بل والمبالغ فيه لهذه التقانة فأين الخلل ؟

إن علينا أن ننظر بتمعن الى هذه التقانة قبل أن نأخذ ما ينفعنا منها على الا يخالف قيمنا الدينية ومتطلبات مجتمعا ، وعلينا التبصر في اختيارنا بعقلية واعية بما يحقق النفع والفائدة وتجنب الوقوع في شرك الانحراف والتفسخ .

أهمية تكنولوجيا المعلومات :

يقصد بتكنولوجيا المعلومات " استخدام الآلات التكنولوجية الحديثة ومنها الكمبيوتر في جميع البيانات ومعالجتها " (٢) ، وقد أصبح استخدام التكنولوجيا في الحصول على المعلومات من الإجراءات المهمة لمواكبة عجلة التقدم في المجالات المعرفية كافة وتتمثل هذه التكنولوجيا بالآتي :-

- شبكة الانترنت : وهي شبكة عالمية تستخدم في شتى المجالات العلمية وتشكلها مجموعة من الكمبيوترات المترابطة في شبكة او شبكات وفق نظام معين وتستخدم لتلبية :-
- ١- الحصول على المعلومات من مختلف انحاء العالم .
- ٢- العمل والتعلم التعاوني الجماعي .
- ٣- الاتصال بالعالم بأسرع وقت واقل كلفة .

اما الخدمات التي يمكن الاستفادة منها في مجال التربية والتعليم فيمكن إجمالها بالآتي :-

- نظام البريد الإلكتروني .
- نظام نقل الملفات FTP .
- خدمة المجموعات الإخبارية New Group .
- خدمة القوائم البريدية Mailing .
- خدمة المحادثة Internet Relay Chat .
- خدمة البحث في القوائم Gopher .
- خدمة البحث باستخدام Wais .
- خدمة الشبكة العنكبوتية .
- خدمة المراسلة الإلكترونية .
- نقل إستراتيجيات التدريس .
- التعليم المشترك .
- جعل العالم قرية كونية من خلال المشاركة في الاحداث اليومية عبر الانترنت كما توفر شبكة الانترنت جملة من الخدمات يمكن استخدامها في مجال التعليم ومنها :-

١- وفرة مصادر المعلومات مثل :-

- الكتب الإلكترونية .
- الدوريات .
- المواقع التعليمية .
- قواعد البيانات .
- الموسوعات .

٢- الاتصال المباشر المتزامن : إذ يمكن التخاطب في اللحظة نفسها بواسطة :-

- التخاطب الكتابي .
- التخاطب الصوتي عن طريق الانترنت .
- المؤتمرات المرئية^(١) .

وفي ضوء هذه الوقائع ومما لا شك فيه فان أهمية تكنولوجيا المعلومات تتجلى في إرساء معالم جديدة للعالم وتحديد مسارات واتجاهات لم تكن معروفة ضمن الفكر الإنساني ، ولا نعلم الى أي مدى يمكن ان تتطور لان كل ابواب التراث البشري مفتوحة أمامها وهذا يؤكد حتمية اصطدامها بالواقع الفكري الإسلامي الذي يرفض الخضوع لمنطق المستبد الذي روج لشبكتة الفكرية عبر نتاج التكنولوجيا .

مشكلة البحث :

يواجه الفكر الاسلامي الكثير من الاشكالات المعاصرة للتطورات العالمية في المرحلة الراهنة أصعبها التي تتقاطع مع المبادئ والقيم المؤسسة للبناء الفكري الإسلامي الأمر الذي جعل سلوك الفرد المسلم تحت حالة نزاع بين العقائد والافكار النابعة من تيارات تسيء استعمال هذه التكنولوجيا سواء كانت هذه الفرق تمثل دعاة الفكر المضاد او فرق ضالة تدعي إنها الدين الحق فتبث سمومها الفتاكة بين الشباب المسلم تخريباً لعقائدهم الصحيحة ففتحت بذلك أبواباً للانحلال والإباحية وممارسة الموبقات عبر شبكة الانترنت ليصبح معها الدفاع عن قيم الإسلام وأفكاره أمراً في غاية الصعوبة والتعقيد .

ان عصر الدولة وما بعدها الذي نعيشه اليوم لن يبقى مكتوف الأيدي يحصر منهله الفكري داخل أسوار مغلقة تسمى بحدود الدولة إنما هو عالمي شامل يسعى الى ما لا نهاية مسخراً لها كل الاكتشافات العلمية الراهنة للهيمنة الرأسمالية وإدامة الفجوة التقنية التي تسمح لتحقيق الاغراض الأيدولوجية المناقضة للفكر الإسلامي التي لا يمكن معالجتها بوسائل الدفاع التقليدية الامر الذي سيؤدي الى تدمير اصول الفكر الإسلامي العربي ومنبعه الذي أعطاه السيادة في المجتمع العربي .

حضارة المعلوماتية :^(١)

ويقصد به الاختزال المعرفي المنضوي في شروط جديدة قوامها المعلوماتية حيث الثقافة الرقمية والاقتصاد الرمزي والاتصال المكثف بين أطراف العالم والصراع والتنافس من اجل تقليص التكلفة والعمل على احتكار السوق " انه الانحسار الواضح للصناعات التقليدية والتغيب لأهمية الخامات الطبيعية والبحوث الجاد عن البدائل نحو استعمال المعرفة للسيطرة على الاستثمارات وهيمنة الشركات العابرة للقوميات ذات الرساميل العملاقة والخرافية " ^(١) .

ولم يتوقف التأثير في المجال الاقتصادي بل ان الاداء السياسي صار يتخذ اكثر الاشكال مباشرة تحدد دواعي الحفاظ على المصالح الخاصة والارتباطات الاقتصادية الواسعة والمتعددة .

انه الثالوث الذي بات يتحكم بمصير العالم الاقتصادي والسياسي حيث الثقافة ، التحويل ، التسويق ، وعلى هذا قضي لهذه الشركات السيطرة على النسبة الأهم والأوسع من حجم الانتاج العالمي فيما تحتشد الأموال السائلة لديها بما قيمته ثلاثة اضعاف احتياطي العالم

من العملات والذهب وتقدر معدلات المبيعات السنوية لبعض هذه الشركات بما يتجاوز الناتج القومي لمجموعة من الدول .

لقد تمكنت هذه الشركات من السيطرة على مقاليد التطور العلمي حتى فرضت هيمنتها على واقع الصناعات الإلكترونية والعسكرية والكيميائية والنووية وهكذا صار لها القدرة لفرض شروطها على مجمل أنواع بلدان الشمال المتقدمة الى بلدان الجنوب النامية ، ولم يتوقف الحال على نمط معين او محدد من العلاقات بل اتخذ تجليات متعددة ، فهو يتخذ شكل التطور للمعدات المستعملة في البلدان النامية او منح حقوق الامتياز وانشاء فروع لهذه الشركات ، أذ يتم في اطار ذلك توسيع العمل في مجال نطاق الصناعات التجميعية الخاضعة وبشكل مباشر للأشراف الفني والإداري من قبل الشركة الام " وقد تعمدت هذه الشركات العملاقة الى اقامة مشاريع مشتركة مع بعض البلدان تكون لها حق الرعاية والحصانة والشروط الجائزة والمتسفة بل وتتخذ العلاقة حداً من الاهدار للحقوق والسيادة الوطنية لتلك البلدان " (٤) ، أما النموذج الأكثر حضوراً فيتجلى في مجال الاستثمار المباشر والعمل على اقامة الفروع او تقديم المساعدات والمشورة الفنية تحت دعوى النمو الاقتصادي ليكون التغلغل في مجالات ومرافق مختلفة وبالتالي إحكام الهيمنة وإطباق طوق التبعية الفكرية والاقتصادية حول الدول النامية .

أسقاطات المعلوماتية على الفكر الإسلامي : (٣)

يواجه الفكر الإسلامي الكثير من الأشكالات المعاصرة كأعكاس للتطورات العالمية المعاشية وإذا كانت النسب تميل الى الاستقلالية الفكرية وتعزيز الشخصية الإسلامية المستقلة ضمن مراحل الصراع الفكري بين العقائد والأفكار فإن انحسار الصراع وسيادة قيم فكرية نابعة من تيار واحد قد فرض شروطاً جديدة على هؤلاء اصبح معها الدفاع عن القيم الفكرية الإسلامية أمراً في غاية التعقيد وخصوصاً عندما تتقاطع هذه القيم مع المبادئ والقيم الأساسية للبناء الفكري الإسلامي وسيكون سلوك المسلم في حالة صراع لا يمكن التنبؤ بنتائجه وربما مع هذه القيم ، وهذا ما يمكن أن يكون أكثر احتمالية متى ما تعلق بالقيم الروحية التي تفرض على المؤمن بها الالتزام بشعائرها وعدم اقتراف ما يمكن ان ينقطع معها .

ان سرعة انتقال الاموال واليد العاملة والثقافات والتكنولوجيا بفضل ثورة المعلوماتية والاتصالات الامر الذي يزيد من فعالية قوى السوق العالمية على مستوى العالم بأكمله كما يعزز دور الشركات الرأسمالية الدولية متعددة القوميات على حساب سيادة الدولة ، علماً أن للغرب ولا سيما الولايات المتحدة ودوله الكبرى وشركاته الكونية دوراً كبيراً من خلال العولمة (حركة اندماج اسواق العالم التجارية والاستثمارية) في السعي لإعادة تخطيط العالم وفق معاييرها الحضارية ومفاهيمها الفكرية والسياسية وقيمها العقيدية وتجاهلها مواريث الشعوب الحضارية وهويتها القومية وتجاربها الإنسانية وحققها في المغامرة الثقافية بعد احتلالها العراق والاعلان عن سعيها الى اعادة تشكيل المنطقة العربية سياسياً وثقافياً وبغض النظر عن اهمية التكنولوجيا وما تقدمه من خدمات في مجالات مختلفة فهي سلاح ذو حدين حيث نعيش في عالم بلا حدود ولا قيود وان احتواء الانترنت مثلاً على الخبيث والطيب والضار والنافع يجعله يتمثل في بعديه الايجابي والسلبي وهنا تكمن الخطورة القصوى في غياب الدور الرقابي عن الاضرار الناجمة عن الاستعمال الخاطئ لهذه التكنولوجيا وما يرافقها من تشويه للفكر الإسلامي فترسم له صورة مشوهة بعيدة كل

البعد عن حقيقته الساطعة فتصوره بأنه دين منتشر بقوة السلاح لا بقوة الحجة والمنطق وتاريخه تاريخ دموي الخ .

لقد ظهرت مواقع لفرق ضالة تبث سمومها بين الشباب المسلم سعياً لتخريب عقيدتهم الصحيحة وابعادهم عن مسار الدين القويم ، ففتحت ابواباً للانحلال بإباحة المحرمات والموبقات وتقليد الغرب في اخلاقهم وعلاقاتهم فتتسع هوة الانحراف في مجتمعاتنا نحو الحضيض ، وان ادمان الشباب المسلم على الانترنت بقضاء الساعات الطويلة امام الشبكة دون هدف او غاية سوى التسكع بين مواقعها اثاراً جانبية فهي تسبب له عقداً نفسية ومشاكل تربوية تبعده عن الجو الاسري والاجتماعي فيعيش وسط اجواء مضطربة قد تدفع بالبعث الى التهور والاندفاع والتنازل عن بعض مبادئه وصفاته فيكون فريسة للانحراف والضياع^(١) .

الاسلام والبناء العقائدي :

ان " البناء الفكري المعادي للعرب تيار خطير يجب مقاومته بتيار فكري اخر يقدم الامة العربية بصورتها الإنسانية " ^(٢) .

تتحقق الصورة الإنسانية للامة العربية في الماضي بالإسلام وعلينا الان ان نقدمه بالإسلام أيضاً فالنظر الى الطرف الأخر من الصراع يخدم فكرنا ومواقفنا فنراهم يصورون الاسلام بالارهاب ويربطون كل حركة ترد على انتهاك حرمتها بالارهاب وهذا يعني انهم يخافون من عودة الاسلام من جديد ، وبذلك يقول الخبير الامريكي بشؤون العالم الثالث روبرت كابلان " في هذا الجزء من العالم سيكون الاسلام بسبب تأييده المطلق للمقهورين والمظلومين اكثر جاذبية فهذا الدين المطرد الانتشار على المستوى العالمي هو الديانة الوحيدة المستعدة للمنازلة والكفاح " ^(٣) لقد حدد منظرو العولمة مصدر الخطر على حضارتهم المنشودة فالتمسك بالإسلام عن طريق نظريته الاجتماعية والتي تنطلق اساساً من البناء العقائدي ، اذ ان الفكر الاسلامي ينقسم الى قسمين (عقيدة وشريعة) ، وبالنظر الى طريقة البناء القرآني في مرحلته الاولى يتضح ان القرآن نزل عبر ثلاث وعشرون سنة كانت حصة العقيدة منها ثلاث عشر عاماً وحصة الشريعة منها عشر سنين ، فالدرس يلحظ ان البناء العقائدي كان في مكة والبناء التشريعي كان في المدينة وعليه فلتكن خطواتنا الاولى في بناء النظرية الاجتماعية الحديثة مبنية على الاساس العقائدي للإسلام والذي يتلخص بالتركيز على الجوانب الآتية وهي (الوحدانية ، النبوة ، المعاد) وهي عناصر مشتركة بين كل المجتمعات الاسلامية بغض النظر عن الجنس او اللغة او المكان او الزمان ، وان هذه الوحدة العقائدية مهمة للوقوف بوجه كل تحديات الفكر الاسلامي لان توحيد او تضيق اسس الخلاف بين المسلمين سوف يبطل نشر انموذج حياة الفرد الغربي ، وان تفوقهم التكنولوجي لا يقف امامه او يجاريه غير الوحدة العقائدية للفكر الاسلامي ^(٤) .

موقف الفكر الاسلامي :

تقول القاعدة الاصولية (درء المفاصد مقدم على جلب المنافع) فكل ما وافق الشرع وفيه مصلحة للمسلمين اخذنا به ، وكل ما خالف الشرع وفيه مفسدة للمسلمين ابتعدنا عنه ، وتكنولوجيا المعلوماتية بمفهومها الحديث " استخدام الآلات التكنولوجية الحديثة ومنها الكمبيوتر في جمع البيانات ومعالجتها وتطبيقاتها في مختلف مجالات العمل الإنساني المنظم " ^(٥) تحمل المفسدة والمصلحة معاً فمن المصلحة النافعة استثمار التطور العلمي

والتقني في ميادين العلوم المختلفة وتوفير الوقت والجهد والراحة ... الخ وهي امور نأخذ بها ونستفيد منها ما دامت لا تخالف الشرع .

اما جوانبها الضارة التي تتقاطع مع الشريعة الاسلامية وتهدد ديننا الحنيف وتتناقض من الرسالة المحمدية بغضاً وبغياً على الحق واهله علينا الابتعاد عنها وتحريمها لمخالفتها النصوص الشرعية لانها تجلب المفسدة للدين والدنيا وهو ما ينبغي الانتباه له وايضاح مخاطره وايجاد الطرق والوسائل التي من شأنها ان تسهم في البناء الحضاري من خلال التحرر من التبعية السياسية والاجتماعية وتشكيل اساس نظري وعلمي واقتصادي مستمد من الشريعة الاسلامية واصولها الثابتة الصالحة للتطبيق لكل زمان ومكان فتراثنا الفقهي ملئ بالمواضيع والاسس التي تصلح لتكون نظريات كل رموز التناقض المزيف لمسألة الموارد الاقتصادية والتي تحاول دول الغرب تصويرها بأنها مشكلة بلا حل الا وفق انموذجها الذي طرحه مفكروها وفقاً لعقيدتهم الغربية^(٥) .

الاستنتاجات والتوصيات :

١- الاستنتاجات :

توصل الباحث من خلال بحثه الى الاستنتاجات الآتية :-

- ١- ان التكنولوجيا الحديثة والمعلومات هي العصب الحيوي في حركة الامم وتطورها باعتبارها منطلق الحاجة المعرفية التي يمكن ان تساهم في حل الكثير من المشاكل الانسانية .
- ٢- ان الصراع الفكري بين الاسلام والامم الاخرى يبقى صراعاً تتميز فيه المعرفة كسلاح حاسم ينتصر فيه من يمتلكه على اعتبار ان القوة الحقيقية هي التي تنبعث من عقل الانسان وليس جسده وهكذا كان الاسلام في زمن الفتوحات التي فتحت للبشرية افاقاً معرفية قطعت خيوط ظلام الجاهلية .
- ٣- ان العالم يعيش مرحلة جديدة فرضها التطور العلمي المعاصر في تقنية المعلومات والاتصالات التي فرضت الغلبة للفكر الذي ابدع في مجال المعلوماتية .
- ٤- تيقظ الفكر الاسلامي للفجوة التقنية التي صنعتها الدول الرأسمالية لتحقيق اغراض ايدولوجية مناقضة للاسلام .
- ٥- لقد باتت تقانة المعلومات اداة رئيسة للفعل السياسي الموجه نحو السيطرة والتوجيه الاعلامي والتربوي ومن هنا تظهر خطورة التحدي المعلوماتي اذ ان تقنية المعلومات لا تحمل بذاتها في باطنها شرواً بل يمكن ان يستفاد منها للخير اكثر لو حسنت نوايا الجهة المحنكرة .
- ٦- ان للمعلوماتية القدرة على صناعة الواقع الوهمي والتحكم بتأثيراته وتظهير صورة الخير والشر في العديد من الاوضاع والمواقف .
- ٧- ان تكنولوجيا الاتصالات (الانترنت) تحتوي الضار والنافع جعل منها سلاحاً ذو حدين ، تكمن خطورته في غياب الدور الرقابي مما يشكل خطراً على مستقبل الاسلام واهله
- ٨- قد يسبب الانترنت اضراراً نفسية وبدنية اذا ادمن المرء على استخدامه لفترات طويلة دون هدف او غاية وكذلك يسبب اضراراً اقتصادية كحدوث السرقات عبر معرفة ارقام حسابات البنوك وظهور الفيروسات المدمرة .

- ٩- غياب الوازع الديني بين الشباب بعد تأثرهم بمظاهر التغريب الماجن ذو البريق الزائف وامنياتهم خلف الحضارة الغربية والحرية المفرطة التي تتعارض مع الفكر الاسلامي .
- ١٠- التداخل الثقافي الذي افرزته وفره وسائل الاتصال وسرعتها اذ استطاعت الدول الكبرى بخبرتها ومنسوجها الثقافي ان تغز الشعوب الضعيفة التي تفتقر لقوة الثقافة واصالة التفكير .

التوصيات :

- في ضوء الاستنتاجات التي توصل اليها الباحث يوصي بما يأتي :-
- ١- علينا كمسلمين ان نستفيد من خدمات التكنواوجيا بما يخدم الاسلام ويشبع الحاجة المعرفية ويقلل من الفجوة الحاصلة وبين دول العالم المتقدم حيث تشير مصادر الامم المتحدة الى ان الدول النامية ستحتاج الى ما يزيد عن ملياري دولار بحلول عام ٢٠٠٤ لتتمكن من اجتياز او تضيق الفجوة الرقمية .
 - ٢- الاستفادة من المؤسسات الدولية التي تدعم جهود اقامة البنية الاساسية لمجتمع المعلوماتية في الدول الاسلامية كمبادرة البنك الدولي الذي اطلق برنامجاً عالمياً في الانترنت هو (Info Dev) كوسيط الكتروني مباشر يقوم البنك من خلاله توفير خبرات ودراسات من مصادر عالمية بما يعزز القدر المؤسسية للدول النامية .
 - ٣- تخفيض كلفة استخدام الانترنت لطلبة المدارس والجامعات والشباب وتوسيع دائرة استخدامها .
 - ٤- ان التقنية الجديدة ولدت وتولد مفاهيم جديدة نتيجة تفاعل وتداخل الافكار والثقافات مما سيفرز تحولات نفسية وثقافية واجتماعية وسلوكية وهذا يحتم علينا دراسة ظاهرة المعلوماتية ومعرفة ملامحها واشكالها لكي نصل الى تحليل ابعادها واثارها على المجتمع الاسلامي .
 - ٥- استخدام قيم الاسلام والسلام والحرية والاخوة والتعاون ايجابياً لصالحنا وتقوية معرفتنا ونشر المعلومات الانسانية النبيلة وذلك عن طريق تبني الحكومات الاسلامية تأسيس شركات كبيرة وفتح مواقع على الانترنت لتشجيع الحوار الالكتروني ونشر الفكر الاسلامي .

المصادر :

- ١- اسماعيل نوري الربيعي . العرب وتحدي المعلوماتية . موقع الانترنت : Arab Renewal . com , 2004 .
- ٢- الحركة الطلابية الاسلامية في مدارس فلسطين . ثقافة حاسوبية ، موقع الانترنت ، ٢٠٠٤ .
- ٣- خالد الخيرو . اسقاطات المعلوماتية على النخب العربية ، موقع الانترنت ، ٢٠٠٤ .
- ٤- سمير امين . التطور اللامتكافىء ، دراسة في التشكيلات الاجتماعية للرأسمالية المحيطة ، ترجمة برهان غليون ، دار الطليعة ، بيروت ، ١٩٨١ .
- ٥- عباس فاضل الدليمي . الفكر الاسلامي والعولمة الاجتماعية . العراق - جامعة ديالى - كلية التربية الاساسية ، ٢٠٠٣ .
- ٦- عبد المنعم سعيد . العرب ومستقبل الوطن العربي ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ١٩٨٧ .
- ٧- عصام نعمان . امام التحديات الخمسة . ما العمل ، جريدة الرقيب ، مقالات ، العدد ٨٤ ، ٢٠٠٤ .
- ٨- محي الدين صبحي . ملامح الشخصية العربية في التيار الفكري المعادي للامة العربية ، ليبيا ، الدار العربية للكتاب .
- ٩- نور الزهراء . الانترنت سلاح ذو حدين . موقع الانترنت : A:/mosharakat.htm,2004.
- ١٠- هانس بيتر مارتن ، هارالد شومان . فخ العولمة ، ترجمة عدنان عباس ، سلسلة عالم المعرفة ، الكويت .